التأثيرات اللغوية الفينيقية-البونيقية على المنطوق اللّهجي الجزائري

Conference Paper · March 2019

التأثيرات اللغوية الفينيقية-البونيقية على المنطوق اللهجي الجزائري: مقاربة تاريخية-لغوية*

أسامة بقار*

المقدمة:

اتجهت الدراسات التاريخية والأثرية الأوربية المتعلقة بتاريخ الحضور الفينيقي-البونيقي في المنطقة المغاربية نحو دراسة التاريخ السياسي والعسكري للحضارة القرطاجية، وبالخصوص الحروب البونيقية نظرا لدورها في إفناء شعب وحضارة، وفي بُزوغ وانبعاث الحضارة الرومانية، بالإضافة إلى الجوانب التجارية والملاحية لهذه الحضارة، مع قلة اهتمام بالجوانب الثقافية والاجتماعية لهذه الحضارة، نظرا لفقداننا للمعالم الحضارية لمدينة قرطاجة، وتبني العديد من المؤرخين الأوربيين ذوو النزعة الاستعمارية لأحكام مسبقة وعدائية اتجاه الإسهامات الحضارية للفينيقيين والوجود الفينيقي في المنطقة المغاربية، فهذا "ستيفان غزال" يعبر عنها قائلا: "**تبرز المواهب الفنية لدى الشعوب في أبسط الأشياء العادية، لكن الأشياء العادية تثبت لدى القرطاجيين عجزا ليس له دواء، فهم لا يحسنون حتى تقليد الأمثلة اليونانية تقليدا جيدا، إنهم كالأتروسكيين في التقليد**"،[1] وراح "بيكارد" يتبنى موقف أكثر تطرفا قائلا: "**لم تُبدع قرطاجة شيئا ولم تترك شيئا ثبت بعد موتها، فلا شّك أن اسهامها في الحضارة البشرية هو دون اسهام الجبليين، إنهم قوم لم يعرفوا الحضارة قط**".[2]

إن هذا التيار من المؤرخين المعادي للفينيقيين والحضارة القرطاجية التي نافست الإغريق والرومان لقرون، تيار يتبنى مواقف تتصف بالكراهية والميز العنصري اتجاه الشعوب السامية، بعضهم عبر عنها بصراحة، وآخرون مارسوا التقية في ذلك، وهي آراء وظفت لخدمة السياسة الفرنسية في الأقطار المغاربية، وللترويج للتراث اللاتيني والإغريقي،[3] هذا التيار المعادي للحضارة الفينيقية بالمنطقة المغاربية تزعمته بالأساس المدرسة التاريخية الفرنسية، ثم التحق بهم باحثين إيطاليين بالتزامن مع أطماع الإيطاليين في ليبيا، على أننا نجد الإيطاليين وظفوا السينما لتشويه الفينيقيين، ومنهم مثلا المخرج Giovanni Pastrone الذي لم يتوان في سلسلة الأفلام التاريخية الصادرة سنة 1914، والتي سماها Cabiria بتصوير التجار القرطاجيين على أنهم مجموعة من المحتالين والمختطفين، فعمل على إيصال فكرة مفادها أن الحضارة الفينيقية والقرطاجية قامت على الخداع والسرقة والمكر.[4]

* مُداخلة قدمت في اليوم الدراسي الذي انعقد بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة محمد خيضر بسكرة، يوم 31 جانفي 2018، الموسوم بـ: "التأثيرات اللغوية على المنطوق اللهجي الجزائري–مقاربات تاريخية–لغوية".

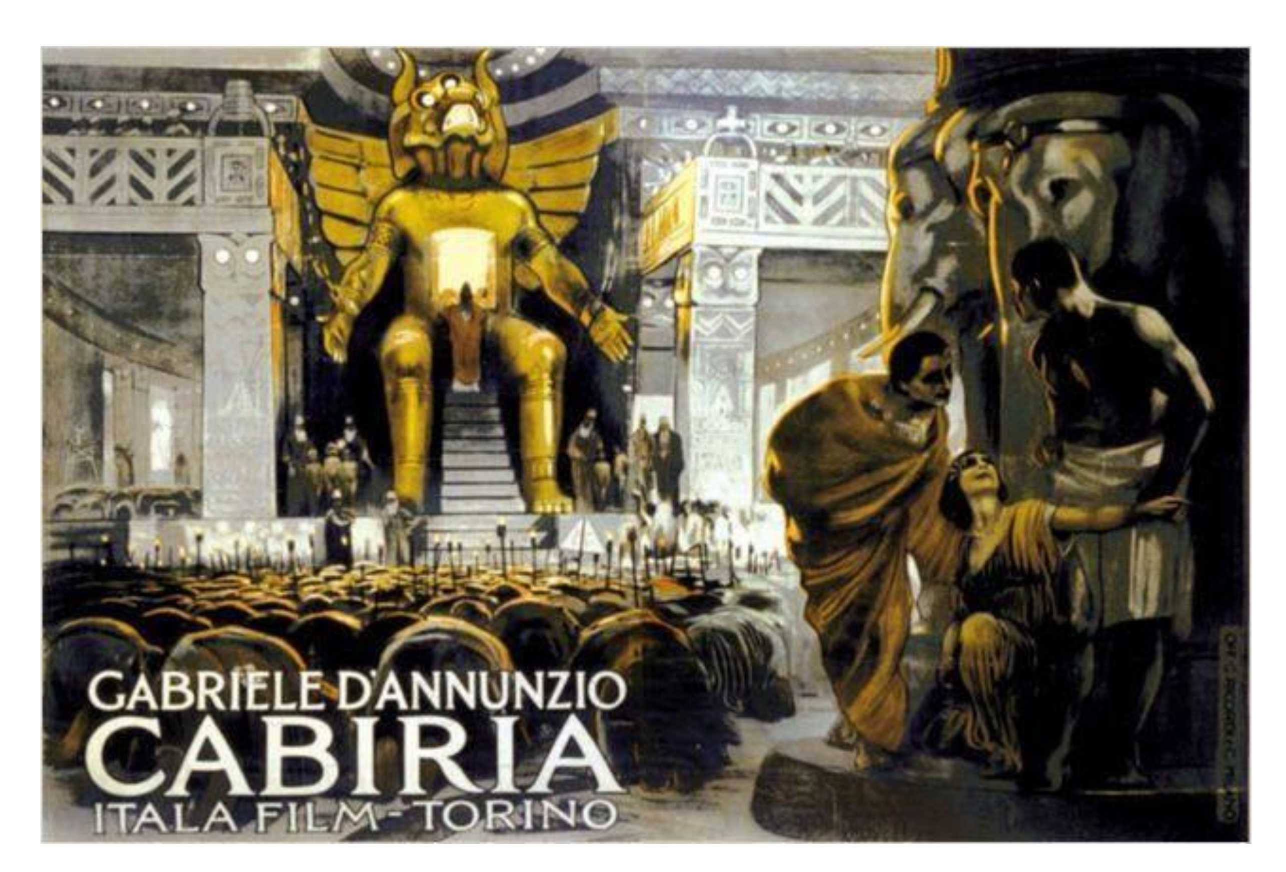
* طالب دكتوراه في تخصص التاريخ القديم بجامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2.

[1] ***S. Gsell : H.A.A.N, IV, P 108.***

[2] ***G. Picard : le monde de Carthage, 1956, P 26.***

[3] محمد فنظر: الحرف والصورة في عالم قرطاج، ص-ص: 284–285.

[4] ***Osephine Crawley Quinn and Nicholas C. Vella : The Punic Mediterranean: identities and identification from Phoenician settlement to Roman rule, 2014, P 01.***



الصورة الإيضاحية رقم 01: مُلصقة المسلسل التاريخي الخيالي péplum الذي صدر سنة 1914 باسم "Cabiria".

هذا التيار المعادي استند في دراساته وأبحاثه بالأساس على المصادر الإغريقية والرومانية التي صورت البونيقيين بالشعب الغدّار Fides Punica، وعلى أحكام مسبقة وأيديولوجية، والتي صوحبت بعملية طمس للآثار البونيقية وإهمالها على عكس الآثار الرومانية، لكنه تيار ما لبث أن خفق بريقه منذ الخمسينات، وبدأ بالتراجع لصالح الكتابات الأكاديمية والأبحاث الأثرية الموضوعية، فنجد مثلا "سينتاس" يكتب في مؤلفه "الخزف البونيقي" الذي ألفه في الخمسينات عن الموهبة القرطاجية قائلا: "**فلا شّك أن الشعب الذي عبر جبال الألب بفيلته، وأنجب حنون وخملكون وبنى سفنا تصدت للمحيط، واستطاعت العودة من جزر الأسورس على تقديم شواهد أخرى تثير الاستغراب وتنال الإعجاب**"،[5] وراح العديد من الأكاديميون يؤسسون لمعاهد متخصصة في الحضارة الفينيقية، فنجد Sabatino Mosacati يؤسس سنة 1960 مدرسة الدراسات الفينيقية والبونيقية، وسنة 1970 أطلقت منظمة اليونيسكو حملة "أنقذوا قرطاجة" Save Carthage، والتي شارك فيها أثريون من الدول الأوربية والو.م.أ، لتشهد الساحة الأكاديمية مشاريع علمية مشتركة سمحت ببروز منشورات الدراسات الفينيقية Studia Phoenicia في كل من "نامور" و"لوفان" البلجيكيتين، ونُشر "دليلي بحث" research manuals سنة 1989 و1995، مع دراسات أكاديمية عديدة متعلقة بنقد المصادر الكلاسيكية للتاريخ القرطاجي، أو بالحضور الفينيقي في الفضاء المتوسطي، والتي لا تزال تنشط وتبحث لغاية أيامنا هذه بُغية فهم أعمق للتاريخ الفينيقي-البونيقي، هذه الحركة البحثية في المراكز الأوربية يصاحبها غياب شبه تام لدراسات مغاربية تجاري ما يكتبه الأوربيون، بل الأمر أحيانا وصل لحد تعمد تغييب هذه المرحلة من تاريخ المنطقة.[6]

---
[5] ***P. Cintas : céramique punique, P 03, n° 2.***
[6] ***Josephine Crawley Quinn and Nicholas C. Vella : Op. Cit, P-P 1-8.***

محاور المدّاخلة:

1-اللغة والكتابة الفينيقية.

2-حضور وانتشار وديمومة البونيقية في بلاد المغارب.

3-تأثير اللغة الفينيقية على المنطوق اللهجي الجزائري:

أ-من خلال الألفاظ المستعملة.

ب-من خلال أسماء الأماكن الجزائرية.

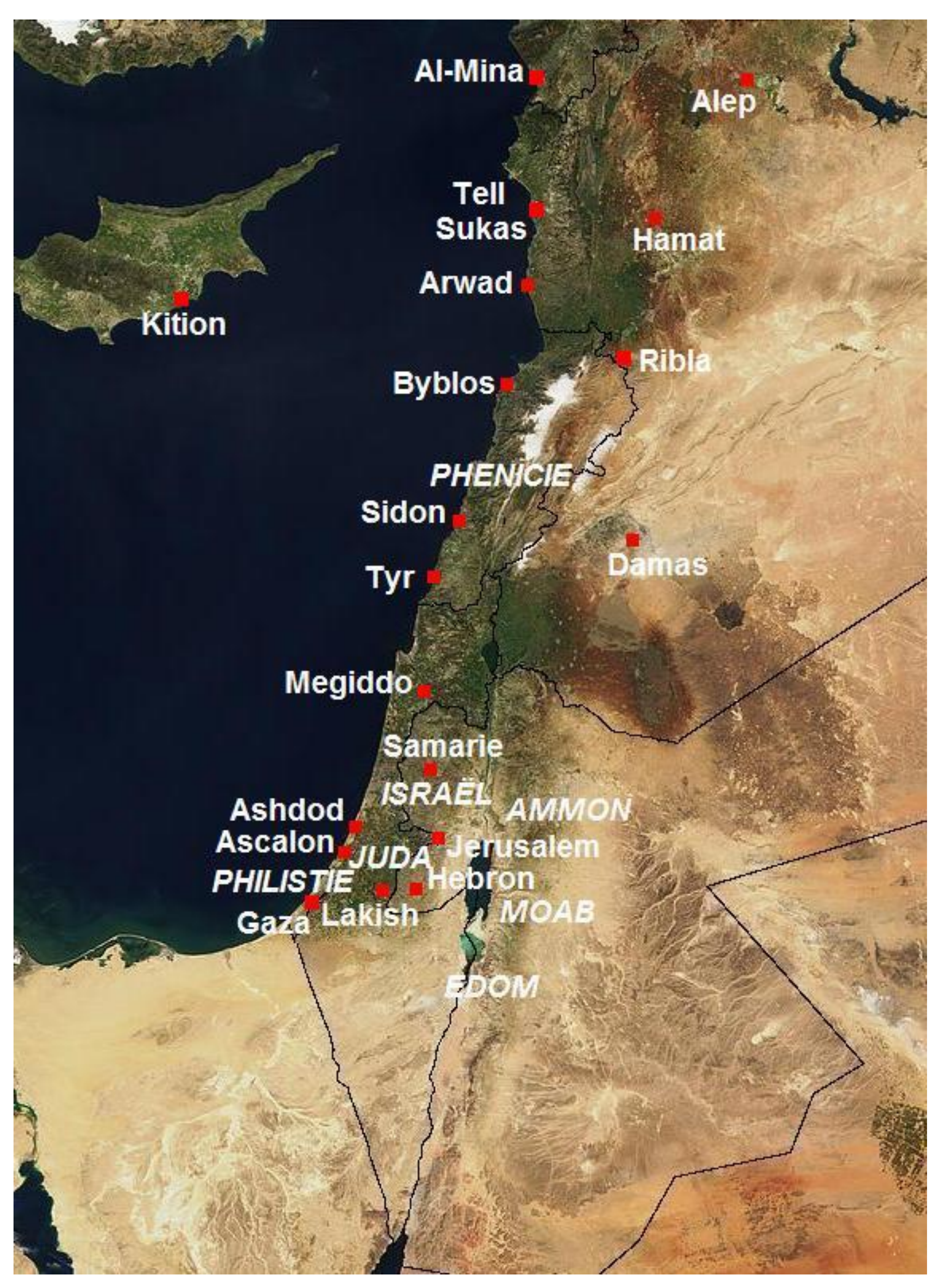
أولا: اللغة والكتابة الفينيقية:

أولا-1-الفينيقيون وبلادهم:

الفينيقيون هم فرع من الأمة الكنعانية؛ فإذا كان الكنعانيون قطنوا الأراضي التي تشمل حاليا فلسطين، غرب الأردن، لبنان، غرب سورية، فإن الفينيقيون كانوا يقطنون المنطقة الساحلية من بلاد كنعان، أي المنطقة الممتدة من "الميناء" السورية (هي تابعة حاليا لتركيا) شمالا إلى "غزة" جنوبا، ومن أشهر المُدن الفينيقية نجد: أرواد، جبيل، صيدا، وصور.

كان سكان هذا الساحل يُسمون في البداية بالكنعانيون، على أنه منذ الربع الأخير من الألف الثانية قبل الميلاد، أي منذ حوالي 1250 ق.م تم تمييز الشعب القاطن على الساحل الكنعاني بتسمية "الفيينقيون" Phoinikes، والمنطقة الجغرافية باسم "فينيقيا" Phoinike، وهي تسمية إغريقية مشتقة من الكلمة الإغريقية Phoinix التي تعني "الصباغة الأرجوانية" pourpre، وهو صبغ اشتهر بصناعته سكان هذا الساحل، وبالخصوص سكان مدينة صور Tyr.[7]

[7] حسن عبد العزيز أحمد: الفينيقيون وإسهاماتهم الحضارية، ص-ص: 160-183.



الخريطة رقم 01: أهم المدن الفينيقية المنتشرة في الساحل الشامي Levant خلال الألف الأول قبل الميلاد.

-الفينيقيون والحركة التجارية والتوسع:

استغل الفينيقيون قوتهم البحرية الملاحية، وتطورهم التقني (صناعة الزجاج وصقله، النسيج (الملابس الزرقاء أو الأرجوانية)، الصناعات الخشبية، الصباغة، مُنتجات زراعية (زيت الزيتون، النبيذ)، مواد أخرى: خشب الأبنوس، العطور، الراتنج العطري (كرة التبخير

encens، المر myrrhe)، التوابل (الكمون، الفلفل، الزعفران)، وكذلك بعض الحيوانات كالخيول، والمزهريات، وأيضا خشب الأرز، وصولا لتجارة العبيد التي نشطت مع ممالك إفريقيا جنوب الصحراء،[8] وراحوا يبحثون عن مقايضتها بالمعادن بالأساس: النحاس (قبرص، سردينيا، جنوب إيبيريا)، القصدير والرصاص (إيبيريا، جزر القصدير iles Cassitérides في بريطانيا)، الكهرمان (العنبر الأشهب ambre، والأثاث البرونزي، العاج من السواحل الإفريقية المتوسطية والأطلسية، فنظموا رحلات بحرية كبرى سمحت لهم باستكشاف الحوض الغربي للمتوسط، والتعامل مع أفراده، مبادلات سرعان ما حولها الفينيقيون إلى حركة استيطانية في كل الأجزاء المتوسطية: الجزر (مالطا، صقلية، سردينيا كورسيكا، جزر البليار، وليباري)، المغرب القديم، ايبيريا، بالإضافة إلى السواحل الافريقية والأطلسية.[9]



الخريطة رقم 02: الطرق التجارية للفينيقيين في الحوض الشرقي والغربي للمتوسط، وما وراء أعمدة هرقل.

أولا-2-اللغة الفينيقية:

هي لغة بائدة كان يُتكلم بها في الساحل الفينيقي (سورية، لبنان، فلسطين)، وهي إحدى اللغات السامية المندرجة ضمن اللغات الكنعانية (العبرية، الآرامية، العمونية (الأردن)، المُوابية (الأردن بجوار البحر الميت)، ولخص لنا Karin C. Ryding في كتابة: Modern Standard Arabic أي "العربية المعيارية الحديثة" موضوع الفينيقية واللغات السامية قائلا: "**العربية، العبرية، الآرامية، الأمهرية (لغة أثيوبيا) هي لغات حية تنتمي لعائلة اللغات السامية، على أن اللغات: الأكادية، الآشورية، البابلية، الكنعانية والفينيقية هي أيضا لغات سّامية، لكنها انقرضت، ولعائلة اللغات السامية تاريخ أدبي طويل ومتميز، والعديد من هذه اللغات خلفت لنا بقايا كتابية في غاية الأهمية لفهم تاريخ الحضارة."**[10]

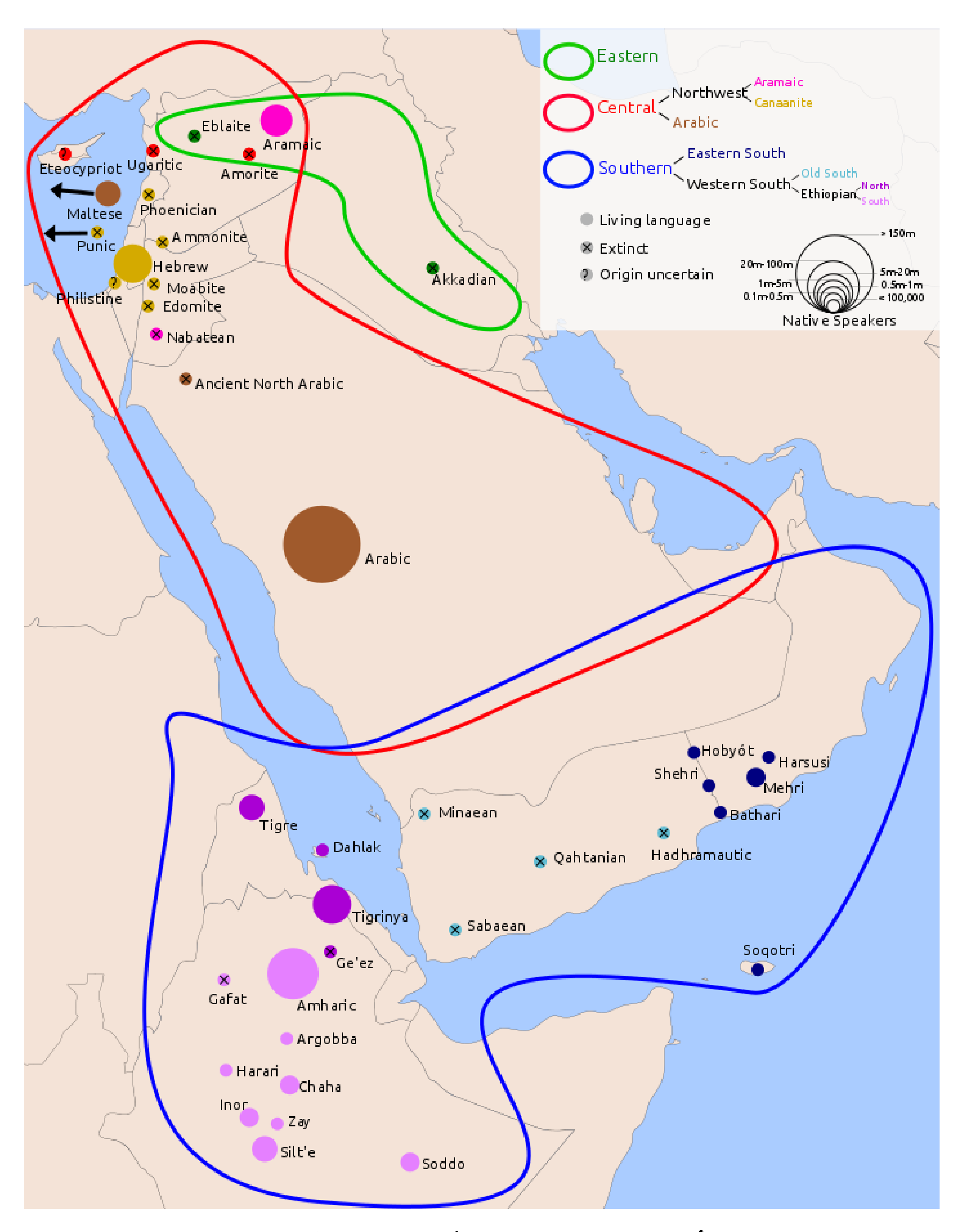
هذه اللغة انتشرت مع حركة التوسع التجاري والاستيطاني إلى مناطق مختلفة من الفضاء المتوسطي: قبرص، الأناضول، تونس، الجزائر، المغرب، مالطا، غرب صقلية، سردينيا وكورسيكا.

---

[8] *Michel Gras, Pierre Rouillard et Javier Teixidor : L'univers phénicien, Paris, Hachette, 2006 P, P, 101, 117-123, 123-134 ; G. Markoe, Les échanges de matières premières, dans Fontan et Le Meaux (dir.) 2007, P-P 103-105.*

[9] *M. E. Aubet : Les Phéniciens dans le bassin méditerranéen, dans Fontan et Le Meaux (dir.) 2007, P-P 45-47.*

[10] *Karin C. Ryding : Modern Standard Arabic, P 01.*



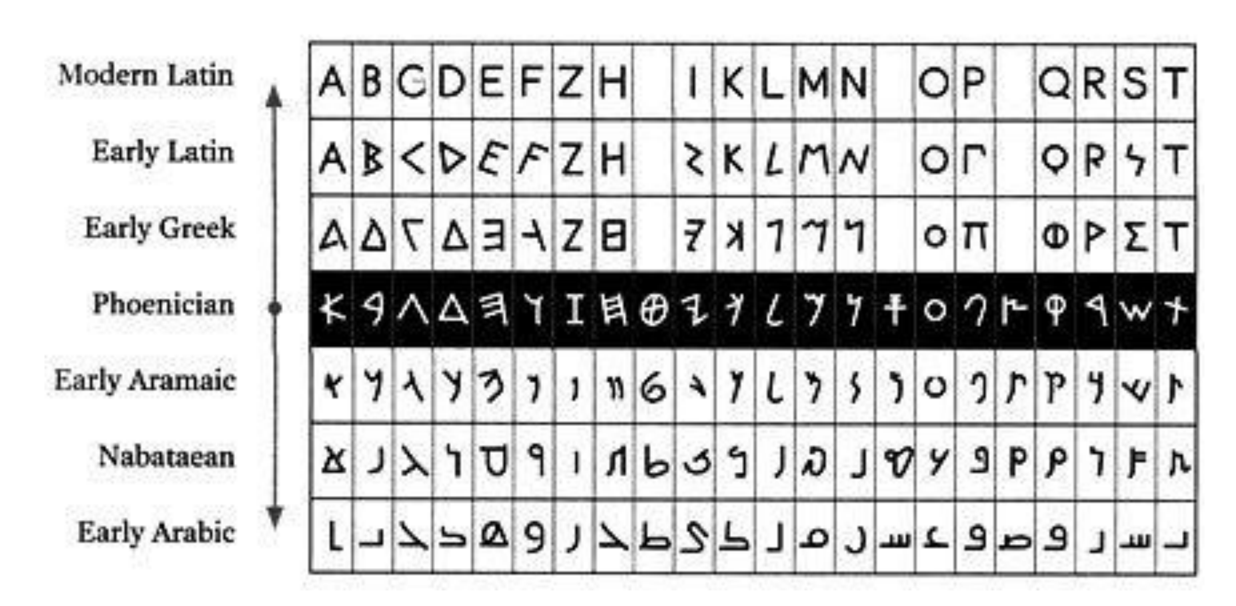
الخريطة رقم 03: الأصول الجغرافية للغات السامية وأقسـامها الثلاث (الشرقية، الوسطى، الغربية).

أولا-3-الكتابة أو الأبجدية الفينيقية:

تُعد الأبجدية الفينيقية الـمُكونة من 22 حرف (كل الحروف ساكنة) من أقدم الأبجديات، وهي مستوحاة من الأبجدية السينائية، حيث ظهرت في حوالي 1200 ق.م، حيث استخدمت لكتابة اللغات الكنعانية، هذه الأبجدية كانت مصدر إلهام شعوب أخرى لابتكار أبجديات

خاصة بهم: الإغريقية، الأتروسيكية، اللاتينة، الآرامية، النبطية، وغيرها. تُكتب هذه اللغة كالعربية والعبرية من اليمين إلى اليسار، والتي انتشرت في منطقتين رئيسيتين:

1-الفينيقية المشرقية: استمرت هذه الكتابة الفينيقية منذ ظهورها لغاية حوالي 333 ق.م تاريخ إخضاع "الإسكندر المقدوني" للمدن الفينيقية، حيث بدأت بالترّاجع لصالح اللغة والكتابة الإغريقية واللاتينية، مع ذلك تسمح لنا بعض النقوش القليلة من التعرف على استمراريتها لغاية القرن الثاني والثالث ميلادي.



الصورة الإيضاحية رقم 02: الأبجدية الفينيقية الموضحة بالأسود، وما يقابلها من الأبجديات القديمة.

-الفينيقية المغربية أو الغربية: هي الفينيقية التي تكلم بها الفينيقيون ومن تأثر بحضارتهم في الحوض الغربي للمتوسط، وبالخصوص في بلاد المغرب القديم، والتي مُيزت بمصطلح اللغة البونيقية*، وهي تسمية لاتينية، أطلقها الرومان على كل الفينيقيين القاطنين في الحوض الغربي للمتوسط تسمية Punicus، وهي مشتقة من الكلمة Poenus، المنحدرة بدورها من الكلمة الإغريقية Phoinix.[11]

* **للاطلاع على الفروقات بين تسميتي الفينيقيون والبونيقيون بالتفصيل يُرجى العودة لمقال: Jonathan r. w. prag : Phoinix and Poenus: usage in antiquity , P–P 11–23.**

[11] ***« Poenus », dans Félix Gaffiot, Dictionnaire latin français.***



الخريطة رقم 04: مناطق انتشار اللغة الفينيقية والبونيقية الموضحة باللون الأصفر.



الصورة الإيضاحية رقم 03: نقيشة بونيقية مُؤرخة بالقرن الأول قبل الميلاد أو القرن الأول ميلاد محفوظة في متحف "باردو" بتونس.

ثانيا: حضور، انتشار وثبات (survivance) اللغة البونيقية في الجزائر:

1-الحضور الفينيقي في الجزائر:

كان للفينيقيين حضور معتبر في الجزائر، وهو حضور ساحلي وداخلي، والذي تشهد عليه المصادر الأدبية والمادية والأسماء المواقعية Toponymie، والخريطة الآتية تُوضح ذلك:

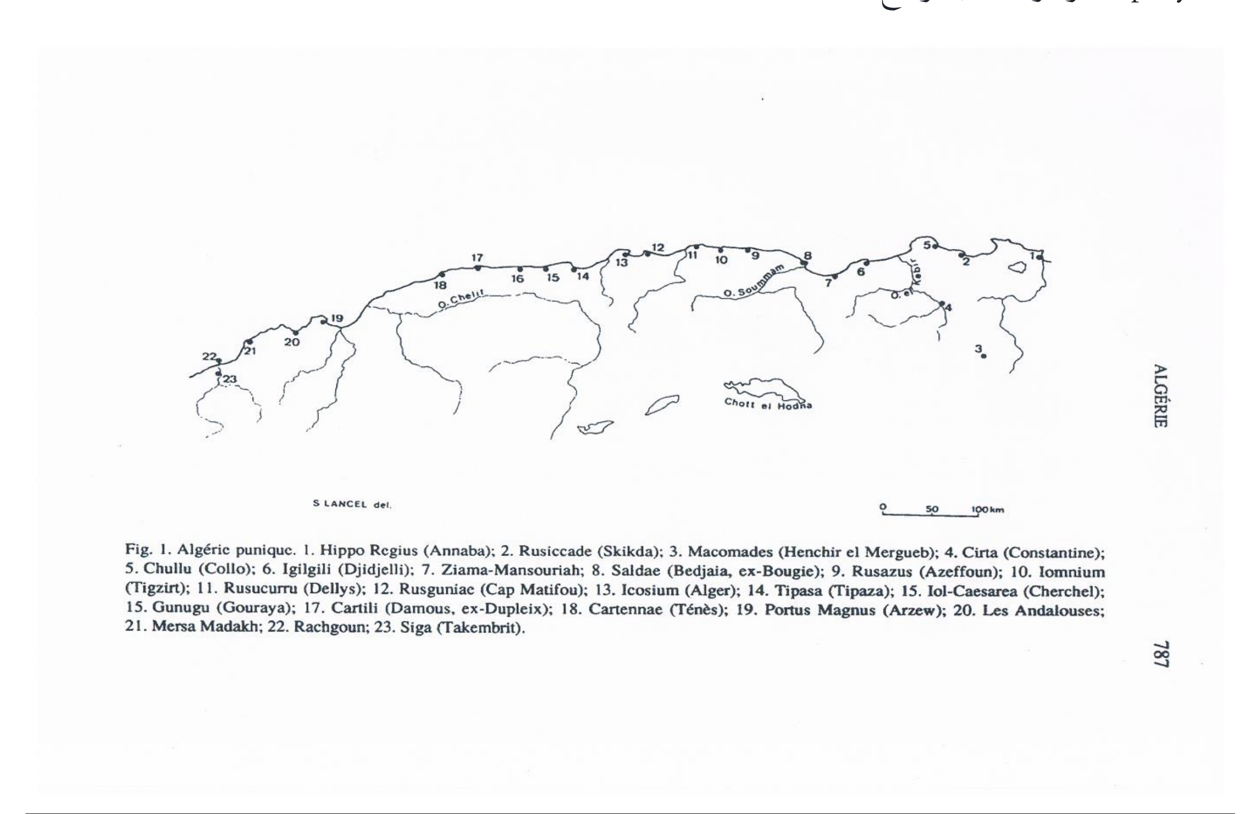


Fig. 1. Algéric puniquc. 1. Hippo Regius (Annaba); 2. Rusiccade (Skikda); 3. Macomades (Henchir el Mergueb); 4. Cirta (Constantine); 5. Chullu (Collo); 6. Igilgili (Djidjelli); 7. Ziama-Mansouriah; 8. Saldae (Bedjaia, ex-Bougie); 9. Rusazus (Azeffoun); 10. Iomnium (Tigzirt); 11. Rusucurru (Dellys); 12. Rusguniae (Cap Matifou); 13. Icosium (Alger); 14. Tipasa (Tipaza); 15. Iol-Caesarea (Cherchel); 15. Gunugu (Gouraya); 17. Cartili (Damous, ex-Dupleix); 18. Cartennae (Ténès); 19. Portus Magnus (Arzew); 20. Les Andalouses; 21. Mersa Madakh; 22. Rachgoun; 23. Siga (Takembrit).

الخريطة رقم 05: **الحواضر الفينيقية في الجزائر كما أوضحها "سارج لانصال":** **S**. **Lancel** : **Algérie dans** : **La civilisation phénicienne et punique** : **manuel de recherche**, **P 787**.

إن هذا الحضور الفينيقي في الجزائر كان له إسهامات وتأثيرات جد معتبرة على المغاربة القدماء (الليبيون)، وإن كان لا يزال من الصعوبة تقديرها وتحديدها بالدّقة المطلوبة، فالقدوم الفينيقي وتأسيس قرطاجة أدى إلى نتيجة فورية: فتح العالم البربري على التيارات الاقتصادية والثقافية للمتوسط وبالتالي إدخالها التاريخ على حد تعبير "غزال"،[12] فهؤلاء الفينيقيون مثلما جلبوا في سفنهم بضائع متنوعة وأخّاذة، جلبوا أيضا ثقافة وبالخصوص كتابة، والتي بفضلها تتضح التجربة الإنسانية، فتنقلها وتحفظها وتثريها. وعليه فبعد تأسيس قدوم الفينيقيين وتأسيس قرطاجة بالخصوص حلت اللغة والكتابة الفينيقية في عديد الفضاءات البربرية، في المدن والقرى، نطقا وكتابة، فالبربر الذين ذكرت لنا لكُتاب القدماء منذ القرن الثالث قبل الميلاد مجموعاتهم: النوميديين (الماسيل والمازيسيل) والموريين، تأثروا لدرجة كبيرة بالحضارة الفيينقية، وعن سر هذا التأثير الكبير ومظهره كتب "غابريال كامبس":

---

[12] ***S. Gsell : H.A.A.N, T° 1, P 359.***



غابريال كامبس: في أصول بلاد البربر، ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب: العربي عقون، ص: 328.

وكتب الباحث التونسي "أحمد فرجاوي" عن سر هذا التأثير الكبير قائلا: **"كان للغة الفينيقية تأثير كبير على الليبيين واللغة الليبية، لأن اللغة المنطوقة la langue parlée من قبل السكان الأصليين هي بلا شك جد فقيرة جدا في الأصوات الحنجرية laryngales"**،[13] ونتيجة التأثير الفينيقي ظهرت لغة ثالثة إلى جنب اللغتين البونيقية والليبية تسمى "الليبو-فينيقية" (la langue libyphénicienne).[14]

إن اختيار وتبني الليبيين للغة والكتابة الفينيقية يعود لعامل آخر في غاية الأهمية هو كونها لغة مفهومة في الفضاء المتوسطي، أي أن الليبيين كانوا بحاجة لكتابة ولغة مفهومة خارج إفريقيا، والتي تسهل عليهم التجارة والتواصل مع شعوب أخرى.

-مظاهر تأثير اللغة الفينيقية على الليبيين القدماء:

1-لخص "غابريال كامبس" هذا التأثير قائلا: **"إن المدن النوميدية والمورية، بما فيها تلك كان لها وظائف العاصمة، وينبغي الإشارة كذلك لتلك المدن التي رغم أنها حملت أسماء فينيقية، وهي تقع بالدّاخل: كأم البواقي (Macomades)، تيبازة النوميدية (تيفاش وهي إحدى بلديات دائرة مداوروش)، قالمة (Calama)، مليانة (Zucchabar)، أو تلك التي حملت أسماء بربرية، كلّها بؤر لصميم الحضارة البونيقية، ليس فقط عبر الإنتاج الخزّفي المسمى "بونيقي" الذي نجده بوضوح في "قيرطا" وكل المصارف الساحلية وصولا لوليلي Volubilis، لكن بالأخص عبر أماكن عبادتهم، لغتهم المكتوبة وبلا شك المنطوقة. إنها اللغة الرسمية للممالك النوميدية والمورية، والتي استمر حضورها رغم تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م، فبالبونيقية حُررت الإهداءات الدينية، النصوص الإدارية على قلتها، الشواهد القبرية épitaphe الملكية، والشروحات المنقوشة على العملات légendes monétaires، ولم يكن هذا عند النوميد الشرقيين فحسب، بل في كافة إفريقيا الشمالية، وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الأفارقة امتلكوا نظام كتابة وطني واسع الانتشار، والذي ظل قائما ليومنا عند "الطوارق". ومثلت مدينة "دوقة" المدينة الوحيدة التي حاولت في عهد "ماسينيسا" و"مكيبسا" استعمال الكتابة الليبية في نقائشها الرّسمية، وهو أمر فريد على حد معارفنا".**[15]

وعبرت "Virgine Bridoux" عن هذا التأثير الثقافي للفينيقيين على البربر قائلة: **"إن الشيء الأكيد هو ذلك التأثير القرطاجي الواسع على نوميديا، وبالخصوص في مجالات الدين، الطقوس الجنائزية، اللغة والكتابة، وسيكون من المضجر تتبع قائمة النقوش، المقابر، وأماكن العبادة الشاهدة على هذه الظاهرة، وبالخصوص في مملكة نوميديا التي وُحدت في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد واستمر وجودها لمنتصف القرن**

---

[13] ***Ferjaoui. A : Recherches sur les relations entre l'Orient phénicien et Carthage (OBO 124), Fribourg Gottingen- Carthage 1993, P 221.***

[14] ***H. Ben Younès : Tunisie dans : La civilisation phénicienne et punique : manuel de recherche, P 823.***

[15] ***Camps Gabriel : Les Numides et la civilisation punique, In: Antiquités africaines, 14,1979, P 50.***

الأول ميلادي، إنه من الضرورة التوكيد على أن البونيقية هي اللغة الرسمية لمملكة نوميديا منذ عهد "ماسينيسا"، فالنقوش الرسمية والشروحات النقدية كتبت بالبونيقية والبونيقية الجديدة néo-punique، ما يجعلنا نرى بوضوح انتماء نوميديا للعالم البونيقي Punic world، أي أنها ضمن المناطق التي مارست عليها قرطاجة تأثيراتها، وهنا أجدني مُطالبة بتوضيح نقطة في غاية الأهمية، وهي أن هذا التأثير البونيقي على نوميديا لم يكن سببه فقط سياسات الحكام النوميد الذين كانوا مسؤولين عن هذا الانتشار، بل كذلك العلاقات الثنائية التي نشأة خارج الصراع الحديث، والتي ساعد التجاور الجغرافي على تكريسها".[16]

وعبر "غابريال كامبس" في مؤلفه القيم "البربر، ذاكرة وهوية" le Berbère mémoire et identité عن حجم المثاقفة Acculturation الكبيرة للفينيقيين على البربر، فاعتبرها "ناجحة ومجهولة"، وكتب عن "ماسينيسا" مؤسس نوميديا الموحدة قائلا: "**فهذا النوميدي كان كذلك بونيقيا، فلم يكن يختلف لا جسمانيا ولا ثقافيا عن خصومه القرطاجيين، لقد كانت تجري في عروقه دماء قرطاجية، بقدر ما كانت تجري في عروق "حنبعل" دماء إفريقية**".[17]

3-ثبات اللغة البونيقية:

إذا كان تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م قد أعلن نهاية الوجود السياسي للحضارة البونيقية في المنطقة المغاربية، فإن البونيقية بقيت متداولة ومستخدمة في الفضاء المغاربي، وإن تراجعت في المدن منذ القرن الثالث، فإنها ظلت صامدة في الأرياف والمناطق الجبلية، وهو ما تكشفه لنا أمثلة عديدة، هي:

1-إستمرار استخدام البونيقية الجديدة في إقليم طرابلس والأرياف التونسية والشرق الجزائري (عنابة)، وهو ما تكشفه لنا النقوش، والتي تكون نقوش مزدوجة بونيقية-لاتينية، وفي "لبدة" كتبت البونيقية بالأحرف الإغريقية، وهذا من سقوط قرطاجة لغاية القرن الخامس ميلادي.[18]

2-نقل لنا القديس أوغسطين في مطلع القرن الخامس ميلادي (حوالي سنة 401م) قائلا: "**إذا سألنا فلاحينا (القرويين المجاورين لهيبون-عنابة) من يكونون، فإنهم يجيبون باللغة البونية lingua Punica: شنعاني Chanani أي "كنعاني**". مقولة فتحت نقاشا واسعا بين الباحثين الذين حاولوا تأويل هذه الشهادة، لكنهم في النهاية تقبلت الأوساط الاكاديمية شهادة أوغسطين.[19]

3-في القرن الخامس ميلادي نقل لنا "أوريليوس ماكومادس" (ماكومادس هي أم البواقي حاليا، وماكومادس هي تسمية فينيقية لهذه المدينة مأخوذة من Maqom Hadash) الذي شغل منصب كبير أساقفة "ماكومادس" في حوالي 421-422م أن اللغة العائلية له هي البونيقية، ما يعني أن هذه المدينة وصلت إليها البونيقية وحافظت عليها لغاية هذه الفترة.[20]

4-نقل لنا المؤرخ البيزنطي "بروكبيوس القيصري" الذي رافق الحملة البيزنطية على المغرب القديم سنة 533م عن ديمومة اللغة البونيقية قائلا: "**ولبث فيها خلقهم (يقصد الفينيقيون)، وما زالوا يتكلمون لغة الفينيقيين حتى اليوم، ولقد أقاموا لهم حصنا في نوميديا، في الموضع**

---

[16] ***Virginie Bridoux : Numidia and the Punic world, P-P 182-183.***

[17] **غابريال كامبس: البربر، ذاكرة وهوية، ص: 190.**

[18] ***JAÏDI Houcine : Appartenance sociale et usage de la langue néopunique au Maghreb à l'époque romaine In : Trames de langues : Usages et métissages linguistiques dans l'histoire du Maghreb [en ligne]. Tunis : Institut de recherche sur le Maghreb contemporain, 2004, P-P 21-40.***

[19] **غابريال كامبس: البربر، ذاكرة وهوية، ص: 60.**

[20] ***S. Lancel : Algérie dans : La civilisation phénicienne et punique : manuel de recherche, P 795.***

حيث تقوم مدينة "تيجسيس" Tigisis (عين البرج حاليا بين "تازولت وباتنة)، وهناك إزاء العين الكبيرة تنتصب لوحتين تذكاريتين نُقشتا بلغة وأحرف فينيقية بما معناه "نحن الذين هربنا بعيدا من وجه الشرير "يوشع ابن نافي (نون)".[21]

5-من النصوص المهمة التي غفل عنها العديد من الباحثين ما نقله لنا الكاتب السرياني "سكاريفوس" Scarifus الذي عاش في القرن السادس ميلادي قائلا:"**بداية لوبا هي موريطانيا البلد المحاذي للأوقيانوس، ..أما إفريقية فهي بلد يوجد مقابلا لروما، وبه مائة وثمانية وخمسون (158) مدينة، وسكانه يتكلمون السريانية والرومانية**". وللنص أهمية كبيرة، فهو يعاصر الفترة البيزنطية، ويكشف لنا سكان إفريقية في عهده يتحدثون السريانية إلى جانب الرومانية، والمقصود بالسريانية هنا بالتأكيد اللغة البونيقية.[22]

5-يبدو أن اللغة البونيقية بقيت لغاية الفترة الإسلامية، فهذا البكري ينقل لنا في القرن 11 ميلادي: "**سكان السرت يتكلمون رطانة jargon لا هيّ بالعربية، ولا بالفارسيّة، لا بربرية، ولا قبطيّة".** ما قاد الباحثين للاعتقاد بأنها اللغة البونيقية أو اللاتينية، لكنهم مالو إلى اللغة البونيقية.[23]

إن كل هذه الملاحظات والقرائن جعلت الباحثين يُقدمون مجموعة من الاستنتاجات الهامة، نُلخصها كالآتي:

1-يقول "باسيه": "**إن اللغة البونيقية لم تختف من بلاد المغارب إلا بعد دخول العرب...إن المناطق التي انتشرت فيها البونيقية أكثر هي التي تعرّبت بالكامل، فالبونيقية هي لغة قريبة جدا للعربية التي ما إن دخلت المغرب حتى خلفت البونيقية وبسهولة**".[24]

2-عبر "غزال" عن هذا التأثير وعلاقته بحركة التعريب قائلا: "**إن ما نقله لنا "أوغطسين" و"بروكبيوس" هو غير بعيد عن الفتح الإسلامي، فالفارق الزمني بينهما متواضع، فالعربية قريبة جدا لهذه اللغة، وبإمكانها أن تحل محلها بسهولة، مثل الآرامية التي هي لسان نُطق idiome سامي أيضا، إن هذا يسمح لنا بافتراض أن كل البربر تبنوا لغة الإسلام لأنهم تمكنوا منها بسهولة بفضل معرفتهم للبونيقية، لقد كانت قرطاجة منذ زمن بعيد تُحضر لاستقبال القرآن، الكتاب المقدس والرمز".**[25]

ثالثا: تأثير الفينيقية على المنطوق اللّهجي الجزائري:

توطئة عامة:

إن التقارب اللغوي بين الكنعانية (الفينيقية) والعربية قد صعب على الباحثين واللسانيين كشف حجم التأثير اللغوي الفينيقي على المنطوق اللهجي الجزائري، ورغم ذلك لم يتردد الباحث الجزائري "**عبده الإمام**" المختص في اللسانيات الاجتماعية Sociolinguistique لبلاد المغارب والتعليمية Didactique، والمتحصل على دكتوراه الطور الثالث من جامعة السربون 3 في اللسانيات الإنجليزية، ودكتوراه دولة في اللسانيات العامة من جامعة "روان" من القول: "**إن الركام اللغوي البونيقي substrat punique (يقصد بالركام اللغوي بقايا لغة تخلى عنها أهلها، ليتحدثوا بلغة أخرى كتب لها الغلبة عليها[26]) يمثل حوالي 50 % من اللغة العامية المُستخدمة في بلاد المغارب**"، فهي لغة قرطاجة والممالك الأهلية، واللغة التي استمر تواجدها إلى القرن الخامس والسادس ميلادي يواصل عبده قوله.

---

[21] *Camps Gabriel : Les Numides et la civilisation punique, P 51,* 59 البربر: ذاكرة وهوية، ص:

[22] محمد البشير شنيتي: أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص: 153.

[23] *Mohamed Meouak : la langue berbère au Maghreb médiéval : Textes, contextes, analyses, P 78.*

[24] *Henri BASSET : Les influences puniques chez les Berbères, P-P 373-374.*

[25] *S. Gsell : H.A.A.N, T° 4, P 498.*

[26] منصور عبد الكريم الكفاوين: الركام اللغوي بين القدامى والمحدثين، دار الخليج، 2017، ص: 54.

يعتبر "عبده" أن التأثير البونيقي حقيقة لا مفر منها، لأنه لا يُمكن نزع الحضور الفينيقي من تاريخنا، فهو حاضر في ذاكرتنا، في كلماتنا، عاداتنا، أعرّافنا، تقنياتنا الزراعية، فسالم شاكر البربريستي البارز لم ينكر وجود تأثير بونيقي على الكتابات البربرية (الليبية والتيفناغ).

لقد أثرت البونيقية على الليبيين، فجعلت بعضهم يفقد لغته، والبعض الآخر يمتلك ازدواجية لغوية، وآخرون يتكلمون بليبية مُرطنة بالبونيقية، وعندما وصل الإسلام وجد السكان القرويين ذو ازدواجية لغوية (البونيقية/ البونيقية الجديدة والليبية)، أما سكان المدن فلهم ثلاث لغات (البونيقية، الليبية، اللاتينية)، أي أن التركة البونيقية موجودة عند أهل الريف والمدينة.

اعتبر "عبده" أن المجتمع الجزائري منفتح حاليا بين ثلاث لغات: العربية بصفتها لغة التحول التاريخي-الاجتماعي، البربرية بصفتها اللغة الطبيعية والأم، الفرنسية هي اللغة الأجنبية للانفتاح على العالم، في حين تمثل البونيقية ما يُسمى "اللغة المغاربية" Maghribi الحالية، لذلك فهو يفضل استخدام هذا الاصطلاح على مصطلح "العامية العرّبية المغاربية"، وعليه فمثلما مثلت "الليبية القديمة" الرّكام اللغوي للأداءات البربرية الحالية (القبائلية، الشاوية، وغيرها)، فإن البونيقية هي الرُكام اللغوي للعامية المغاربية، هذه اللغة البونيقية التي هي فرع من الكنعانية، هي كالآرامية، والعبرية والعربية، لغة سامية، كلها لغات ذات طريقة صرف (morphologie) متشابهة، مُعجمهم يستند على قاعدة مُشتركة، وهذا الأمر يُفسر "فهم" سكان إفريقيا الشمالية للشكل اللساني للرسالة القرآنية، أي أن جهود "الفهم المتبادل" تحققت بسهولة. هذه اللغة الطبيعية التي نُسميها اليوم "المغاربية" تطورت بالتواصل مع العربية على هذا الشكل التقنيني، لذلك فإن البونيقية هي صاحبة الفضل على العربية في سرعة انتشارها وتداولها. واعتبر "عبده الإمام" أن الخطاب الأيديولوجي للعروبيين والبربريست جعلهم يقفزون على الرُكام البونيقي، فكتابة التيفناغ أكبر شاهد على تبني الليبيين للبونيقية.[27]

ثالثا-أ-من خلال الألفاظ المستعملة[28]:

الحرف	الكلمة البونيقية	الكلمة باللهجات المغاربية
أ:		
	أب ’ b	الأب
	أدم ’dm	أدم (إنسان).
	أم ’m	الأم
	أخ ’x	الأخ
	أربعة ’rb°	أربعة أو ربعة
	أل ’l	بمعنى "إذا" وأصبحت تستخدم على صيغة "إلّ جا".
	أم ’m	بمعنى "إما"، سقطت الهمزة، فنقول "يَم تجي يا نروحو".
	أنحن ’nxn	بمعنى "نحن"، سقطت الهمزة والنون، فنقول "حنا".
	أرر ’rr	بمعنى "الرأرأة"، نقول "أر" للحيوانات لكي تتحرك.
	أش ’s	بمعنى "الذي"، ونقول "واش راك"، "واشنو هذا".
ب		
	بعل b°l	تعنى "الزوج"، وهو إله الخصوبة تقال هذه الكلمة في بسكرة للدلالة على الأرض المرتفعة التي لا يصيبها سيح ولا سيل، كما نقول أرض بعلي وبحيرة بعلي ومغروسة على البعلي أي لا تسقى إلا بماء المطر.
	بل bl	بمعنى "بلا" أو "بدون"، ونقول في عاميتنا "بلا".
	بن bn	بمعنى "ابن"، وتم الاستغناء عن الألف
	بقش bgš	بقش بمعنى بحث عن شيء، نقول: من الصباح وهو يبقش
	بصع bs°	بمعنى بزع، أي أسال بقوة، نقول "بزع الماء".

[27] ***Abdou Elimim : Du punique au Maghribi, Trajectoires d’une langue sémito-méditerranéenne, P-P 25-35, Farid Benramdane : Le maghribi, langue trois fois millénaire » de ELIMAM Abdou, Revue algérienne d'anthropologie et de sciences sociales, 1998, P-P 129-130.***

[28] **لواتي فاطمة: الآثار اللغوية الفينيقية والبونيقية في المنطوق اللهجي العربي (سوريا–لبنان–تونس–الجزائر)، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2015–2016، ص–ص: 203–236.**

ج		
	جلجل glgl	أي الغطاء، وتقول نساءنا "الجْلاَلْ"، أي طرف اللباس الطويل
د		
	دحى dhy	بمعنى يكسر، ونقول "دحيها في الحقيقة" أي "أدخلها".
	درك drk	من الإدراك، نقول "درك نجيك".
ه		
	ها h	أداة للربط أو التعريف، واقترانها بهمزة <h معناه "سوف"، فنقول "هاني جاي".
	أو aw	أداة للعطف، لكن تُوظف للتعجب والاستغراب.
ح	حرز hrz	بمعنى "حرزه" أي صانه، ونقول الحرز، هو التميمة التي تعلق في الرقبة أو الرأس لحماية الشخص من العين.
خ		
	خمر xmr	أي الخمر
	خمس xms	أي خمسون
ط		
	طبع Tb°	أي طبع أو سك النقود، ونقول أطابع، بمعنى خاتم لطبع الوثائق
	طممم Tmm	يعني أخذ كل شيء على الأرض، ونقول "يطم" أي يأكل كل شيء.
ي		
	يام ym	بمعنى اليوم، ونقول "يمات هذو فاتو صعاب".
ل		
	لبن lbn	أي اللبن
	لهبت lhb°t	أي ازدياد اشتعال النيران.
	لما lm	بمعنى إذا لم ونقول "إلما جاش حصلنا".
م		
	ملك mlk	بمعنى الملك أو الحكم
	ملأ ml’	بمعنى ملأ ونقول "ملا الماء"
ن		
	نحى nx	بمعنى "نزع شيئا" ونقول "نحى قشو" أي نزع لباسه
ق		
	قبر kbr	بمعنى القبر
ر		
	رع r>	بمعنى "رعي بالماشية".
ش	شبع šb>	بمعنى الشبع عكس الجوع
ث		
	ثلاثوم šlšm	أي ثلاثون
	ثمامم šmm	أي ثمانية
ت		
	تحت tht	أي تحت (ظرف مكان)
	تمر tmr	التمر
	تسع ts>	أي تسعة، وحين نضيف m أي "تسعون"

وكلمات أخرى نجد:

البونيقية	المغاربية
أم أم em em	أم أم
أردز ardz	أي الأرض
ها هو ha huw	ها هو
بيت bt	البيت (المنزل)
الحقرة hqr	من الاحتقار هذه الكلمة وظفت في النقوش الفينيقية (نقش البرازيل)

طرشي trsh	فلفل حار مصبر في الخل[29]
حييم Hayim	حرفت وأصبحت "الحياة".[30]

ب-من خلال أسماء الأماكن الجزائرية:

أحصى الباحثون أكثر من 20 مدينة بناها الفينيقيون في الجزائر، هي: عنابة Hippo regius، سكيكدة Rusiccade، والتي سميت كذلك "ثابسوس" Thapsus (كلاهما تسميتان فينيقيتان)، أم البواقي (macomades)، أي المركز الجديد، قيرطا أو كيرتا (قسنطينة) ومعناها القرية، القل (Collo)، جيجل (igilgili)، زيامة منصورية، بجاية (Saldae)، أزفون (Rusazus)، تيغزيرت ، دلس (Rusucurru)، رأس ماتيفو (Rusguniae)، الجزائر (icosium)، تيبازة (Tipasa) (لدينا تيبازة النوميدية والموريطانية)، شرشال (Iol)، قوراية (Gunugu)، الداموس (Cartili)، تنس (Cartennae)، أرزيو (Portus Magnus)، الأندلسيات، مرسى مداخ، رشقون، ولهاصة (Siga).[31]

وإذا كان العديد من المدن قد فقدت تسميتها الفينيقية، فإن هناك مُدن أخرى احتفظت بالتسمية الفينيقية لغاية يومنا الحالي، ونجد:

1-نلاحظ البادئة rus أي "رأس" موجودة في أسماء العديد من المدن، وهذا لأنها أقيمت على رؤوس بحرية، فنجد سكيكدة Rusicade، أزفون Rusazus، تيغزيرت Rusuppisir، مرسى الحجاج Rusubbicari Matidiae، دلس Rusuccuru.

2-مدينة عنابة Hippo Regius، والتي سميت بالبونيقية الجديدة إيبون"، وعرفت باسم "بونة" بعد ان سقط Hi وتعني الخليج أو الملجأ.

3-مدينة قالمة التي كانت تسميتها القديمة كلاما Calama هي كلمة لاتينية مقلوبة من الفينيقية أصلها Malaka أي "الملكية".[32]

4-سكيكدة: تسميتها فينيقية معناها "رأس إيكاد" أي الرأس الوقاد أو رأس النور.

5-جيجل: ميدنة بناها الفينيقيون، والتي لا تزال تحتفظ بهذه التسمية، وهي مشتقة من Igilgili، وهي مقسمة إلى قسمين i، ومعناها "جزيرة" و"gilgil ومعناها "دائرة الحجارة" أي "الجزيرة المحاطة بالحجارة".

6-الجزائر العاصمة: مدينة بناها الفينيقيون، وكان اسمها الفينيقي هو Ikosim أي "جزيرة النوارس".

7-مديمة تيبازة بدورها بناها الفينيقيون، واسمها Tipasa ويعني بالفينيقية "الممر" أو مكان التوقف escale.

8-مدينة "مداوروش" يعتقد أنها تسمية فينيقية مشتقة من mdor أي "مكان المعيشة".

---

[29] **زليخة بلعباس: آثار اللغة البونية في اللهجة الجزائرية، مجلة عود الند، متاحة على الرابط:**
https://www.oudnad.net/spip.php?article509

[30] ***Abdou Elimim : Du punique au Maghribi, P 36.***

[31] ***S. Lancel : Algérie, P 787, Edward Lipinski : Studia Phoenicia XVIII, Itineraria Phoenicia, 2004, P-P 389-417.***

[32] **محمد البشير شنيتي: المرجع السابق، ص-ص: 58-59.**

9-تنس Cartennas قدمت عدة فرضيات حول أصل التسمية، لكن منجد الحضارة الفينيقية يورد أن "تنس" هو اسم أحد ملوك صيدا، ما يقود لافتراض أنها تسمية مرتبطة بهذا الملك.[33]

الخاتمة:

-يمثل الحضور الفينيقي في الجزائر إحدى الروافد الثقافية الهامة، والذي كان له اسهامات وتأثيرات على عديد الأصعدة.

-اللغة البونيقية كانت اللغة الرسمية للأفارقة، والتي استمر وجودها لفترات متأخرة، فمثلت إحدى لغات التواصل بالنسبة للأفارقة القدماء فيما بينهم ومع دول الفضاء المتوسطي، وهي الركام اللغوي الأساسي للعامية المغاربية.

-أحد أسباب نجاح حركة التعريب يعود للغة البونيقية، فالصلة بين هتين اللغتين كبيرة جدا.

-تتبع أسماء الأماكن الجزائرية يعبر عن تأثيرات فينيقية واضحة في حركة التعمير والتحضير.

[33] ***Arthur Pellegrin : la Toponymie de l'Algérie sur :***
[***http://algerroi.fr/Alger/documents_algeriens/culturel/pages/60_toponymie.htm***](http://algerroi.fr/Alger/documents_algeriens/culturel/pages/60_toponymie.htm) **, لواتي فاطمة : الآثار اللغوية الفينيقية،**
ص–ص : 238–249.